آيا صوفيه
٤١٥٩

[illegible]
٢٢

فضائل الأتراك

تصنيف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

ورحم جميع المؤمنين بمحمد وآله الطيبين

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك
بدنياهم عن الدين

قال بعضهم

لا تخضعن لمخلوق على طمع فإن ذلك وهن منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه فإن ذلك بين الكاف والنون

طبنه

قد وقف هذه النسخة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين
السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا حرره الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين عفي عنهما

٤١٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم الله ولي كل نعمة
وفقك الله لرشدك وأعان على شكرك وأصلحك وأصلح على يديك وجعلنا وإياك ممن يقول
بالحق ويعمل به ويؤثره ويحتمل ما فيه ولا يكون حظه فيه الوصف له والمعرفة به دون الحث
عليه والانقطاع إليه وكشف القناع فيه فإن الله تعالى لم يعلم الناس ليكونوا عالمين وإنما
دون أن يكونوا عاملين بل علمهم ليعملوا وبين لهم ليتقوا ولخوف الوقوع في المضار والتورط
في المهالك طلب الناس التبين وحب السلامة من الهلكة والرغبة في المنفعة احتملوا ثقل التعلم
وتحملوا مكروه المعاناة ولقلة العاملين وكثرة الواصفين كثرت الصفات وقلت الموصوفات
فإن الواصفين أكثر من العاملين وإنما كثرت الصفات وقلت الموصوفات لأن ثواب العمل
مؤجل واحتمال ما فيه معجل وقد أعجبني ما رأيت من شغفك بطاعة إمامك والمحاماة لتدبير خليفتك
وإشفاقك من كل خلل وخلة تدخل على ملكه وإن دق ونال سلطانه وإن صغر ومن كل
أمر خالفه وإن خفي مكانه وجانب رضاه وإن قل ضرره ومن تخوفك أن تجد المنازل لديه بغياً
والعدو عليه متعلقاً فإن السلطان لا يخلو من منازل نافس ومن محاكم عليه ساخط ومن
متعد ولعدو الحكمة زار ومن متعطل متفضح ومن معجب برأيه يخطئ في بنائه موضع التجنب
[ل]لصواب والإعراض على الصواب التدبير حتى كأنه رأي لجميع الأمة ووكيل لسكان
المملكة يضع نفسه في موضع الرقباء ومن موضع النصح على الخلفاء والوزراء لا يعلم
وإن كان مجاز العيب واضحاً والنقص فيما يكون الشك محتملاً ولا يصدق بأن الشاهد يرى
ما لا يرى الغائب وأنه لا يعرف مصداق الرأي من لم يشهد موارده ويشهد من لم يعرف

مستقبله كم من محروم قد أضعفه الحرمان ومن لئيم قد أفسده الإحسان ومن مستبطئ قد لحد
أضعاف حقه وهو لجهله يعتد به ويضن بدعوى فلو شكر من بطر أن الذي يعطى له أكثر وأن
أوجب ومن متستر بما لو شكر للسلطان يتألف بإذنه البغض عنده ونعمة البينة عليه لكان
لذلك أهلاً ولم يستحقها قد غره الإملاء وأبطره دوام الكفاية وأفسده طول الفراغ وصاحب
فتنة خامل في الجماعة رئيس في الفرقة نعاق في الهرج قد أقصاه السلطان وأقام صغره ثقاف
الأدب وذله الحكم بالحق فهو مغيظ لا يجد غير التشنيع ولا يشتفي بغير الإرجاف ولا
يستريح إلا إلى الأماني ولا يأنس إلا بكل مرجف كذاب ومفتون مرتاب وحاسد لا خير فيه
وحالف لا غناء عنده يريد أن يسوى بالأكفاء ويرفع فوق الجماه لأمر سلف له ولإحسان
كان من غيره وليس ممن يرغب بما يحدث ولا يحفل بعد من تشرف ولا يفصل بين ثواب المحسنين
وبين الحفظ لأبناء المحسنين وكيف يعرف فرق ما بين حق الإمام وثواب الكفاية من لا
يعرف طبقات الحق في مراتبه ولا يفصل بين طبقات الباطل في منازله ثم أعلمني بذلك أنك
بنفسك بدأت في تعظيم إمامك والحفظ لمناقب أنصار خليفتك وإياها حفظت محباً
لأشياعه واختلاجك لأوليائه ونعم العون أنت إن شاء الله على ملازمة الطاعة والموا
على الخير والمكانفة لأهل الحق وقد استدللت بالذي رأيت من شدة عنايتك وفرط
تفقدك لأخبار الأعداء وبحثك عن مناقب الأولياء على أن ما ظهر من نصحك لم في جنب ما
بطن من إخلاصك فأمتع الله بك خليفته ومنحنا وإياك محبته وأعاذنا من قول الزور
والتقرب بالباطل إنه حميد مجيد فقال الأولين وذكر أنه قال الله إنك جانست أطلا

من جند الخلافة وجماعة من ابناء الدولة وشيوخا من جلة الشيعة وكهولا من ابناء رجال
الدولة والمنسوبين الى الطاعة والمناصحة الدينية دون محبة الرغبة والرهبة وان رجلا
من عرض تلك الجماعة ومن حاشية الجلة ارتجل الكلام ارتجالا متسيدا وتفرد به تفرد معجب
لم يتكلم بلسان زعمائهم ولم يراقب خطباءهم وانه تعسف المعاني وهجم على الالفاظ
وزعم ان جند الخلافة اليوم على خمسة اقسام خراساني وتركي ومولى وعربي وبنوي وانه
اكثر من حمد الله وشكره على حسن بلائه ومنته وعلى جميع اياديه وسوابغ نعمه وعلى شمول
عافيته وجزيل مواهبه حين الف على الطاعة هذه القلوب المختلفة والاجناس المتباينة
والاهواء المتفرقة وانك اعترضت على هذا المتكلم المتسيد وعلى هذا القائل المتكلف
الذي قسم هذه الاقسام وخالف هذه الاركان وفصل من انسابهم وفرق بين اجناسهم
بين انسابهم وانك انكرت ذلك عليه اشد الانكار وقرعته اشد التقريع وزعمت انهم
لم يخرجوا من الاتفاق ومن شيء يقرب من الاتفاق وانك انكرت التباعد في النسب والتباين
في السبب وقلت بل الزعم ان الخراساني والتركي اخوان وان الحيز واحد وان ذلك الصنيع
متفق غير مختلف ومتقارب غير متفاوت وان الاعراق في الاصل اذا لم تكن راسخة فقد كانت
متشابهة وحدود البلاد المشتملة عليهم الا تكن متساوية فانها متناسبة وكلهم
خراساني في الجملة وان تميزوا ببعض الخصائص وافترقوا ببعض الوجوه وزعمت ان اختلاف
التركي والخراساني ليس كالاختلاف بين العجمي والعربي ولا كالاختلاف بين الرومي
والصقلبي والزنجي والحبشي فضلا عما هو ابعد جوهرا واشد خلافا بل كاختلاف ما بين المكي والمدني

والبدوي والحضري والسهلي والجبلي وكالاختلاف ما بين الطائي السهلي وكما يقال
ان هذيلا اكراد العرب وكالاختلاف بين من نزل البطون وبين من نزل الحزون
وبين من نزل النجود وبين من نزل الاغوار وزعمت انهم وان اختلفوا في بعض
اللغة وفارق بعضهم بعضا في بعض الصور فقد تخالفت عليا تميم وسفلى قيس وعجز هوازن
وفصحاء الحجاز في اللغة وهي في اكثرها على خلاف لغة حمير وسكان مخاليف اليمن
وكذلك في الصورة والشمائل والاخلاق وكلهم مع ذلك عربي خالص غير مشوب ولا معلهج
ولا مذبذب ولا مزلج ولم يختلفوا اختلاف ما بين بني قحطان وبني عدنان بأمر قبل ما طبع
الله عليه تلك التربة من خصائص الغرائز وما قسم الله تعالى لاهل كل حيز من الشكل
والصور والاخلاق واللغة فان قلت فكيف كانا ولدين جميعا عربيا مع اختلاف الابوة
قلنا ان العرب لما كانت واحدة فاستووا في التربة وفي اللغة والشمائل والهمة وفي الانف والحمية
وفي الاخلاق والسجية فسبكوا سبكا واحدا وافرغوا افراغا واحدا وكان القالب واحدا
وتشابهت الاجزاء وتناسبت الاخلاط وحين صار ذلك اشد تشابها في باب الاعم والاخص
وفي باب الوفاق في المشبه من بعض ذوي الارحام جرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب وصارت
هذه الاسباب ولادة اخرى حتى تناكحوا عليها وتصاهروا من اجلها وامتنعت عدنان قاطبة
من مناكحة بني اسحق وهو اخو اسمعيل وجادوا بذلك في جميع الدهر لبني قحطان وهو ابن
عابر ففي اختلاف الفريقين على التناكح والمصاهرة ومنعهما من ذلك جميع الامم كسرى فمن
دونه دليل على ان النسب عندهم متفق وان هذه المعاني قد قامت عندهم مقام الولادة والارحام

الماسة وزعمت انه اذا اراد الفرقة والتخويف وانك اذا اردت الالفة والتقريب زعمت ايضا ان البنوي
خراساني وان نسب الابنا نسب ابايهم وان حسن صنيع الابا وقديم فعال الاجداد هو حسب الابنا وان الموالي
بالعرب اشبه واليهم اقرب وبهم امس لان السنة جعلتهم منهم نعلت ان الموالي اقرب الى العرب في كثير من
المعاني لانهم عرب في النسب وفي العاقلة وفي الوراثة وهذا تاويل قوله مولى القوم منهم ومولى
القوم من انفسهم والولا لحمة كلحمة النسب وعلى شبيه ذلك صار حليف القوم منهم وحكمه حكمهم فصار
الاخنس بن شريق وهو رجل من ثقيف وكذلك يعلى بن منية وهو رجل من بلعدوية وكذلك
بن غزوان وهو رجل من غيلان من قريش وبذلك السبب حرمت الصدقة على موالي بني هاشم فان
النبي صلى الله عليه وسلم اجراهم في باب التنزيه والتطهير مجرى مواليهم وبذلك السبب قدم
النبي صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب على بني عبد شمس وقرابتهم سوا ونسبهم واحد للعقد
المتقدم وللايدي المتقدمة وقال صلى الله عليه وسلم خير فارس في العرب عكاشة بن محصن
فقال ضرار بن الازور الاسدي ذاك رجل منا يا رسول الله فقال بل هو منا بالحلف فجعل حليف
القوم منهم كما جعل ابن اخت القوم منهم ثم زعمت ان الاتراك قد شاركوا هولا القوم في
هذا النسب وصاروا امن الغيب بهذا السبب مع الذي بوابه من الخلال وحواه من شرف
الخصال على ان ولا الاتراك للباب قريش ولمصاص عبد مناف وفي بني هاشم موضع الغذا
من خالص البر والعقد من لبة الكاعب وهو الجوهر المكنون والذهب المصفى وموضع
المح من البيضة والعين في الراس والروح من البدن وبمنزلة الانف المقدم والسنام الاكبر والدر
والروضة الخضرا والذهب الاحمر فقد شاركوا العرب في انسابهم وفضلوهم بهذا الفضل

لا يبلغه فضل وان برع بل لا يعشره شرف وان عظم ولا مجد وان قدم فزعمت ان اسباب
الجميع متقاربة غير متباعدة وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازرة والمكانفة والطاعة
والمناصحة والمحبة للخلفا والايمة وذكرت انه ذكر جملا من مفاخر الاجناد وجمهرة
من مناقب هذه الاصناف وانه جمع ذلك وفصله وفسره وانه الغى ذكر الاتراك ولم
يعرض لهم واضرب عنهم صفحا فلم يخبر عنهم كما اخبر عن حجة كل جيل وعن برهان كل صنف وذكر
ان الخراساني يقول نحن النقبا وابنا النقبا ونحن النجبا وابنا النجبا ومنا الدعاة قبل
ان تظهر نقابة او تعرف نجابة وقبل المغالبة والمباداة وقبل كشف القناع وزوال التقية
وزوال ملك اعدايبا عن مستقره وثبات ملك اوليانا في نصابه ومن ذلك ما قبلنا
وشردنا ونهكنا ضربا وطعنا وبضعنا بالسيوف الحداد وعذبنا بالوان العذاب
وبنا شفى الله الصدور وادرك الثار ومنا الاثنا عشر النقبا والسبعون النجبا
ونحن الخندقية ونحن الكفية وابنا الكفية ومنا المنتجبة ومن بحر النسمة
نجران واصحاب الحوزين ومنا الدعبدية والازادمردية ونحن فتحنا البلاد وقتلنا
العباد وابدنا العدو بكل واد ونحن اهل هذه الدولة واصحاب هذه الدعوة ومنبت
هذه الشجرة ومن عندنا هبت هذه الريح والانصار انصاران الاوس والخزرج نصروا
النبي صلى الله عليه وسلم في اول الزمان واهل خراسان نصروا ورثته في اخر الزمان غذانا
بذلك اباونا وغذونا به ابناءنا وصار لنا نسبا لا نعرف الا به ودينا لا نوالي الا عليه نحن
على مذهب واحد ومنهاج غير مشترك نعرف بالشيعة وندين بالطاعة ونقتل فيها

ونموت عليها سيمانا موصوف ولباسنا معروف ونحن اصحاب الرايات السود والروايات
الصحيحة والاحاديث المأثورة والذين يهدمون مدن الجبابرة وينزعون الملك من
ايدي الظلمة وفينا تقدم الخبر وصح الاثر وجاء في الحديث صفة الذين يفتحون عمورية ويظهرون
عليها ويقيلون مقايلها ويسبون ذراريها حيث قالوا في نعتهم شعورهم شعور النساء
وثيابهم ثياب الرهبان فصدق الفعل القول وحقق الخبر العيان ونحن الذين ذكرنا
وذكرنا امام الائمة وابو الخلائف العشرة محمد بن علي حين اراد توجيه الدعاة الى الآفاق
وتفريق شيعته في البلاد أن قال اما البصرة وسوادها فقد غلب عليها عثمان وصنايع
عثمان فليس بها من شيعتنا الا القليل واما الكوفة وسوادها فقد غلب عليها علي
وشيعته وليس بها الجزيرة فحرورية شارية وخارجة ومارقة ولكن عليكم بهذان
الترق فان هناك صدور سليمة وقلوب سالمة باسلة لم تتقسمها الاهواء
ولم تخامرها الادواء ولم تعتقبها البدع وهم مغيظون موتورون وهناك العدد
والعتاد والنجدة ثم قال الى الحيش يطلع منه النهار وكنا خير جند لخير
امام فصدقنا ظنه وتبنا رأيه وصوبنا فراسته وقال لم اعرى امرنا هذا في
الاعرى ومقبل الامد يطلع كطلوع الشمس ويمد على الآفاق امتداد النهار حتى يبلغ خيب
يبلغ الاحقاف وسألنا الجواهر قالوا ونحن قتلنا الصحيحة والدالقية والذكوانية
والراشدية ونحن ايضا اصحاب الخنادق ايام نصر بن سيار وابن جديع الكرماني
وشيبان بن سلمة الحارثي ونحن اصحاب نباتة بن حنظلة وعامر بن ضبارة واصحاب

ابن هبيرة فلنا قديم هذا الامر وحديثه واوله وآخره ومنا قائل مروان ونحن قوم لنا
اجسام واجرام وشعور وهام ومناكب عظام وجباه عراض وقصب غلاظ وسو عل
طوال ونحن اولاد الذكورة واقل فضوله واقل ضوى وضوولة واجل احسابا و
واوثق ابدانا واشد عصبا واتم عظاما وابداننا اجمل للسلاح واخفافنا املأ
للعيون ونحن اكثر اعدادا واكثر عددا وعدة ولو ان يأجوج ومأجوج كاثروا من وراء
السد منا لظهرنا عليهم بالعدد فاما الايد وشدة الاسر فليس لاحد بعد عاد وثمود
والعمالقة والكنعانيين مثل ابداننا واسرنا ولو ان خيول الارض وفرسان جميع الاطراف جمعوا
في حلبة واخذ لنا الرأي في العيون واهول في الصدور ومتى رأيت مواكبنا وفرساننا
وسودنا التي لا يحملها غيرنا علمت انا لم نخلق الا لقلب الدول وطاعة الخلفاء وتأييد
السلطان ولو ان اهل البيت ورجال الزراح وفرسان الهند وحلبة الروم هجم عليهم
اهاشيم اشياخنا لما امتنعوا من طرح السلاح والهرب في البلاد ونحن اصحاب
اللحى وارباب النهى واهل الحلم والحجى واهل النجابة في الرأي والبعد من الطيش
كجند الشام والمعرضين للحرم والمنتهكين لكل محرم ونحن ما لنا ما نه ومناعة
ونحن نجمع بين النزاهة والقناعة والصبر على الخدمة والتجمل عند ثقل الشقة ولنا الطبول
المهولة العظام والبنود ونحن اصحاب البخاتيف والاجراس والباركند واللبود الطوال
والاعناد المعقفة والشوارب المعفرة والقلانس الشاشية والجلول السنهية والخافر
كورات والطرزيات والخناجر في الاوساط ولنا تعليق السيوف وحسن الجلسة
على ظهور الخيل ولنا الاصوات التي تسقط منها الحبالى وليس في الارض صناعة عربية

من أدب وحكمة وحساب وهندسة وأنغام وصنعة ورواية وفقه نظرت فيه الخراسانية
الا فرغت منها الرؤسا ودنت فيها العلماء ولنا صنعة السلاح من لبود وركاب
ودرع ولنا أنا جعلناه رياضة وتمرينا فأرهاصنا للحرب وسقيفا ودبابة للمحاولة والمشاول
للكر بعد الكر مثل الدبوق والنزو على الخيل صغارا ومثل الطبطاب والصوالجة
الكبار ثم رمي الجنبة والبوجاست والطاير الخطاف فنحن أحق بالأمر وأولى بشرف المنزلة
ثم قلت وزعم أن العربي يقول إن القرنة تستحق بالأسباب البائنة والأرحام الشابكة وبالنقابة
والطاعة للآباء والعشيرة وبالشكر النافع والمدح الكافي بالشعر الموزون الذي
يبقى بقاء الدهر ويلوح ما لاح نجم وينشد ما أهل بالحج وما هبت الصبا وما كان للزيت
غاص وبالكلام المنثور والقول المأثور وبصفة مخرج الدولة والاحتجاج للدعوة
وتقييد المآثر إذا لم يكن عادة العجم ولا كان تحفظ ذلك معروفا في سوى العرب ونحن
نرتبطها بالشعر المقفى ونقلها بحفظ الأمر وفرعي ببغداد وهي مستقر الخلافة والقرار ○
بعد الجولة وفيها تعقد رجال الدعوة وأبناء الشيعة وفي خراسان العراق وبيت الخلافة
وموضع المال قال وأنا أعرف في هذا الأمر مني وأكثر ترددا
من جنبي ولحق في هذا الفصل من الموالي والعربي ولنا بعد في أنفسنا ما لا يذكر
من الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال وكذلك أهلها لا أهلها
وفتاكها فتاكها وخلعاؤها خلعاؤها ورؤساؤها رؤساؤها وصلحاؤها صلحاؤها
ونحن بعد تربية الخلفاء وجيران الوزراء ولدنا في أفنيتهم ملوكنا وتحت أجنحة خلفائنا

خلفائنا فأخذنا بآثارهم واحتذينا على مثالهم فلسنا نعرف سواهم ولا نعرف غيرهم ولا ○
نطمع فينا أحد قط من خطاب ملكهم وممن يترشح للأعراض عليهم فمن أحق بالأمر وأولى ○
بالقرب في المنزلة ممن هذه الخصال فيه وهذه الخلال له ○

بسم الله الرحمن الرحيم إن ذهبنا حفظك الله أن نعقب هذه
الاحتجاجات وعند منقطع هذه الأسئلة الآن بأن نستعمل المعارضة ثم مناقب الأتراك
والموازنة بين خصالهم وخصال كل صنف من هذه الأصناف سلكنا في هذا الكتاب
سبيل أصحاب الخصومات في كتبهم وطريق أصحاب الأهواء في الاختلاف الذي بينهم وكتابنا هذا إنما
تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم التي كانت مختلفة ولنزيد الألفة إن كانت مؤتلفة ولنخبر عن
اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ولتسلم صدورهم ولنعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب
وكم مقدار الخلاف في الحسب فلا يغتر بعضهم ببعض ولا يفسده عدو بباطل مموه ومزور
المنافق العليم لعدو ذي الكيد العظيم قد يصور لهم الباطل في صورة الحق ويلبس الإضاعة
ثياب الحزم إلا أنا على حال سنذكر جملا من أحاديث دنياها ودينها وأمور أبنائها وشمائـ هذا لها
وفضائل تلقيناها من أفواه الرجال وسمعناها وسنذكر جميع ما في هذه الأصناف من الآلات
والأدوات ثم ننظر أيهم لها أشد استعمالا وبها أشد استقلالا ومن أنفع كسبا وأنجح غنى وأدركـ
بغية وأبعد غورا وأجمع أمرا وأعم خواطر وأكثر غرائب وأبدع طرقا وأدوم نفعا في الحروب ولطرق
وأدرب دربة وأغمض مكيدة وأعظم بدع طرقا وأشد احتراسا وألطف احتيالا لأخي يلوذ
الحبار في يد الناظر المتصفح لمعانيه والمتأمل لوجوهه والمفكر في أبوابه والمقابل بين أوله وآخره ولا

ولا يكون نحن انتحلنا نسبا دون شي وتعلقنا بتفضيل بعض على بعض بل نخرج عن خاصة ما
عندنا بحرف واحد فاذا دبرنا كتابنا هذا التدبير وكان موضوعه على هذه الصفة كان ابعد
له من مذاهب الجدال والكلام واستعمال الهوى وقد ظهر لنا ان اسما اصناف الاجناس
لما اختلفت في الصورة والخط والهجا ان اختلفا بينهما ومعانيها على حسب ذلك وليس الامر على
حسب ما توهمه الا ترى ان اسم الشاكرية وان خالف في الصورة والهجا اسم الجند فان المعنى فيهما
ليس بتبعيد لانهم يرجعون الى معنى واحد وعمل واحد والذي اليه يرجعون طاعة الخلفا وتاييد
السلطان واذا كان المولى منقولا الى العرب في اكثر المعاني ومجعولا منهم في عامة الاسباب
لم يكن ذلك باعجب من جعله الخال والدا والحليف من الصميم وابن الاخت من القوم وقد
جعل ابن الملاعنة المولود على فراش البعل منسوبا الى امه وقد جعلوا اسمعيل وهو ابن
عجميين عربيا لان الله تعالى فتق لهاته بالعربية المبينة على غير التلقين والترتيب وفطره على
الفصاحة العجيبة على غير النشو والتمرين وسلخ طباعه من طبائع العجم ونقل الى بدنه تلك
الاجزاء على ذلك التركيب وسواه تلك التسوية وصاغه تلك الصياغة ثم حباه من طبائعهم
ومنحه من اخلاقهم وشمائلهم وطبعه من كرمهم وانفتهم وهممهم على ارفعها وامكنها واشرفها
واعلاها وجعل ذلك برهانا على رسالته ودليلا على نبوته فكان احق بذلك النسب
واولى بشرف ذلك الحسب وكما جعل ابراهيم ابا لمن لم يلد فالنبوة غير انساني من جهة الولادة
والمولى عربي من جهة الدعوى والعاقلة وان احاط علمنا بان زيدا لم يخلق من ماء عمرو الا انا هو
الجناية به وان نفينا انه لم يخلق من صلبه وكما جعل النبي صلى الله عليه وسلم ازواجه امهات

المومنين ومن لم يلدهن ولا ارضعنهم وفي بعض القران وازواجه امهاتهم وهو
اب لهم على قوله ملة ابيكم ابراهيم وجعل المراة من جهة الرضاع اما وجعل البعل
ابا لولد البعل من غيرها المراة والد وجعل العم ابا وهم عبيد لا يعقلون الا فما فيهم
فبدوله ان يجعل من عباده من شا عربيا ومن شا عجميا ومن شا قرشيا ومن شا زنجيا
كما له ان يجعل من شا ذكرا ومن شا انثى ومن شا افرده من ذلك فجعله لا ذكرا ولا انثى
ولا خنثى وكذلك خلق الملائكة وتم ادم على الله من جميع الخليقة وخلق ادم فلم يجعل
له ابا ولا اما وخلقه من طين ونسبه اليه وخلق حوى من ضلع ادم وجعلها له زوجا
وسكنا وخلق عيسى من غير ذكر ونسبه الى امه التي خلقه منها وخلق الجان من نار
السموم وادم من طين وعيسى من غير نطفة وخلق السماء من دخان والارض من الماء وخلق
اسحق من عاقر وانطق عيسى في المهد وانطق يحيى بالحكمة وهو صبي وعلم سليمان منطق
الطير وكلام النمل وعلم الحفظة من الملائكة جميع الالسنة حتى كتبوا اجل خط
ونطقوا بكل لسان وانطق ذريا الهارونين والمومنين من جميع الامم اذا دخلوا الجنة
وكذلك اطفالهم والمجانين يتكلمون ساعة يدخلون الجنة بلسان اهل الجنة
على غير الترتيب والتدريج والتعليم على طول الايام والتلقين فكيف تعجب الجاهلون من
انطاق اسمعيل بالعربية على غير تعليم الاباء وتاديب الحواضن وهذه المسالة ربما سال
عنها بعض الخطابية ممن لا علم له ببعض الغرابنة وهي على الخطابي اشد فاما نحوا
العدناني ونيل النظام بهذا المخرج فرب المعنى لان بني قحطان لا يدعون لقحطان

بنوم فيعطيه الله مثل هذه الأعجوبة وما الذي قسم الله عز اسمه بين الناس من ذلك لا كما
صنع طينة الارض فجعل بعضها حجرا وبعض الحجر ياقوتا وذهبا وبعضه نحاسا وبعضه
رصاصا وبعضه حديدا وبعضه ترابا وبعضه فخارا وكذلك الزجاج والمغرة والزرنيخ
والملح والطين والقار والتوتيا والنوشادر والمرقشيثا والمغناطيس ومن يحصي عدد
اجزاء الارض واصناف الفلز واذا كان الامر على ما وصفنا فالبنوي خراساني واذا كان
الخراساني مولى والمولى عربي فقد صار الخراساني والبنوي والمولى والعربي واحدا وادنى
ذلك ان يكون الذي بينهم من خصال الوفاق غامرا لما بينهم من خصال الخلاف بل هم في
معظم الامر وفي كبر الشان وعمود النسب متفقون والاتراك خراسانية وموالي الخلفاء فهم
فقد صار التركي الى الجميع راجعا وصار شرفه الى شرفهم زائدا واذا عرف سائر ذلك
نامت النفوس وذهب التعقل ومات الضغن وانقطع سبب الاستثقال فلم يبق الا التحاسد
والتنافس الذي لا يزال يكون بين المتقاربين في القرابة وفي المتجاورين على التوازن في الفساد
في القرابات وفي بني الاعمام والعشائر وفشو واعم من العداوة وخوف التخاذل وحب التمام
والحاجة الى التعاون انضم بعض القبائل في البوادي الى بعض ينزلون معا ويظعنون
ومن فارق اصحابه اولى من نصر عنه اكثر ومن اغتبط بنعمته وتمنى بقاها والزيادة منها
اكثر ومن بغاها الغوائل وطلب انقطاعها وزوالها ولا بد في اضعاف ذلك من بعض
التنافس والتخاذل الا ان ذلك قليل من كثير وليس يجوز ان يصفوا الدنيا وسمي من العناد
والمكروه حتى يموت جميع الخلائق وتستوي لاهلها وتمهد لسكانها على ما يشتهون

ويشتهون ويهوون لان ذلك من صفة دار الجزاء وليس ذلك من صفة دار العمل ○

بسم الله الرحمن الرحيم ○ هذا كتاب كتبته ايام المعتصم بالله رضي
الله عنه فلم يصل اليه لاسباب يطول شرحها فلذلك لم اعرض للاخبار عنها واحببت
ان يكون كتابا قصدا ومذهبا عدلا ولا يكون كتاب اسراف في مدح قوم والاغراق
في هجاء اخرين وان كان الكتاب كذلك شابه الكذب وخالطه التزيد وبني اساسه
على التكلف وخرج كلامه مخرج الاستكراه والتغليق وانفع المدح للمادح واجدى
على الممدوح وابقاها اثرا واحسنها ذكرا ان يكون المدح صدقا وللظاهر من حال
موافقا وبه لايقا حتى لا يكون من المعبر عنه والواصف الا الاشارة اليه
والتنبيه عليه وانا اقول ان كان لا يكون (ممكن) ذلك في مناقب الاتراك الا بذكر مثالب
سائر الاجناد فترك ذكر الجميع اصوب والاضراب عن هذه الاصناف اجمل لا يقوم الكثير
من ذكر بعضهم بالجميل بالقليل من ذكر بعضهم بالقبيح لان ذكر الاكثر بالجميل نافلة وباب من
التطوع وذكر الاقل بالقبيح معصية وباب من ترك الواجب وقليل الفريضة اجدى علينا
من كثير التطوع ولكل الناس نصيب من النقص ومقدار من الذنوب وانما يتفاضل الناس
بكثرة المحاسن وقلة المساوي فاما الاشتمال على جميع المحاسن والسلامة من جميع
المساوي دقيقها وجليلها وظاهرها وخفيها فهذا لا يعرف وقد قال النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب

وقال مرس السعدي ○

سد
ها
للممدوح

أخ لي كأيام الحياة إخاؤه تلوّن ألوانا عليّ خطوبها
إذا عبت منه خلة فتركته دعتني إليه خلة لا أعيبها

وقال بشار

إذا كنت في كل الأمور معاتبا خليلك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقال مطيع بن إياس الليثي

ولئن كنت لا تصاحب إلا صاحبا لا تزل ما عاش نعله
لم تجده ولو جهدت وأنى بالذي لا يكون يوجد مثله
إنما صاحبي الذي يغفر الذنب ويكفيه من أخيه أقله

وقال محمد بن سعيد وهو رجل من الجند

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

فإذا كان الخطأ من جمهور الناس وأصحاب المعايش من دهماء الجماعة يرون ذلك واجبا وتدبيرا في التعامل على ما هم فيه من مشاركة الخطأ للصواب وامتزاج الضعف بالقوة فلسنا نشك أن الإمام الأكبر والرئيس الأعظم مع الأعراق الكريمة والأخلاق

والتمام في الحلم والعلم والكمال في الحزم والعزم مع التمكين والعدة والفضيلة والرياسة والخصائص التي معه من التوفيق والعصمة والتأييد وحسن المعونة وأن الله جل اسمه لم يكن ليحليه باسم الخلافة ويتوجه بتاج الإمامة وبأعظم نعمه وأسبغها وأفضل كرامته وأسناها ثم وصل طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته إلا ومعه من الحلم في موضع الحلم والعفو في موضع العفو والتغافل في موضع التغافل ما لا يبلغه فضل ذي فضل ولا حلم ذي حلم ونحن فلا نلوم ولا حول ولا قوة إلا بالله فيما انتهى إلينا في أمر الأتراك زعم محمد بن الجهم وثمامة بن أشرس والعتبي بن بشار في جماعة ممن تحضر دار الخلافة وفي دار العامة قالوا اجتمعنا أنا وحميد بن عبد الحميد جالسا ومعه بختشاذ الصعدي وأبو شجاع بن كار أحد أي الليثي ويحيى بن معاذ ورجال من المعدودين المتقدمين في العلم بالحرب في صناعات الحرب إذ خرج رسول المأمون فقال لهم يقول لكم متفرقين ومجتمعين ليكتب كل رجل منكم دعواه وحجته وليقل أيما أحب إليه فأبد منكم إذا دان في عدة من صحبه وثقاته أن يلقى مائة تركي أو مائة خارجي فقال القوم جميعا بل نلقى مائة تركي أحب إلينا من أن نلقى مائة خارجي وحميد ساكت فلما فرغ القوم من حججهم قال فقال الرسول لحميد قال القوم فقل وأنت قولك وليكن حجتك لك أو عليك قال بل ألقى مائة خارجي أحب إلي لأني وجدت الخصال التي تفضل بها الخارجي جميع المقاتلة غير تامة في الخارجي ووجدتها تامة في التركي ففضل للتركي على الخارجي بقدر فضل الخارجي على سائر المقاتلة ثم بان التركي على الخارجي بأمور ليس فيها للخارجي دعوى ولا متعلق على أنه

هذه الأمور التي بان بها التركي من الخارجي أعظم خطراً وأدنى نفعاً مما شاركه الخارجي
في بعضها. قال حميد والخصال التي يصولون بها الخارجي على سائر الناس صدق الشدة
عند أول وهلة وهي الدفعة التي يبلغون بها ما أرادوا وبالألوان الذي أملوا والثانية
على الجنب وعلى طول السرى حتى يصبح القوم غارين فيهجموا عليهم وهم يسوونهم على وضم فيخلونهم
عن الروية وعن رد النفس عن الزرو والحيلة لا يظنون أن أحداً يقطع في ذلك المقدار من الزمان
ذلك المقدار من البلاد والثالثة أن الخارجي موصوف عند الناس بأنه إن طلب أدرك وإن
طلب فات والرابعة خفة الأزواد وقلة الأمتعة وأنها تجنب الخيل وتركب البغال وإن
أجناحت أمست بأرض وأصبحت بأخرى وأنهم قوم جنح حوالم يخلفوا الأموال الكثيرة
والجنان الملتفة والدور المشيدة ولا أصناعاً ولا مستغلات ولا جواري مظهمات ولا
سلب لهم ولا مال معهم فرغب الجند في لقائهم وإنما هم كالطير لا يدعو ولا يهتم لغد ولها
في كل أرض من المياه والأقوات ما تبلغ به وإن أحد ذلك في بعض البلاد فأجمعها تقرب لها
البعيد وتسهل لها الحزون وكذلك الخوارج لا يمتنع عليهم القرى والمطعم وإن يمتنع عليهم
ففي بنات شحاج وبنات صهال وخفة الأثقال على طول الخبب ما يسهل أقواتها ويكثر من أرزاقها
والخامسة أن الملوك إن أرسلوا إليهم أعداءهم ليكونوا في خفة أوزارهم وأثقالهم وليقووا
على النقل لقوتهم لم يقووا عليهم لأن ما به من الجند لا يقومون لمائة من الخوارج وإن
بعثوا الجيش بالجيش وضاعفوا العدد ثقلوا عن طلبهم وعن اللحوق أن طلبهم عدوهم
ومتى شاء الخارجي أن يعرف ثم ليبطرهم ولينصب الغرة منهم أو ليسلبهم ويعلم ذلك فإنه

بغتتهم

بغتتهم عن الفرصة ورؤية العورة ومكنة الهرب عند الخوف وإن شاء أن يبسهم ليقطع
نظامهم أو ليقتطع القطعة منهم. قال حميد فهذه هي مفاخرهم وخصالهم التي لها
كثر القواد لقائهم. قال قاسم بن سيار وخصلة أخرى وهي التي أرعبت القلوب وجعلتها
وتقصت الغرام وفحشتها وهو ما يسمع الأجناد ومقالة العوام من ضرب المثل بالخوارج

كقول الشاعر

إذا ما البخيل والمحاذر للقرى رأى الضيف مثل الأزرقي في المحفف

ولقول الآخر

وقلب ودجال عن عمد والسيف بنوا بيد الشاري

ولقول الآخر

لقا الأسد أهون من لقاه إذا التحكيم يشهر بالأصيل

فهذه زيادة قاسم بن سيار فأما حميد فإنه قال الشدة الأولى التركي فيها أحد
أمراً وأحكم شأناً لأن التركي من أجل أن يصدق شدته ويتمكن عزمه ولا يكون
مشترك العزم ولا مقتسم الخواطر قد عود برذونه أن لا ينثني وإن شاء أن يرملا
فرجه للأمير بين مرة أو مرتين والإقامة لا يدع سننه ولا يقطع ركضه وإنما
أراد التركي أن يونس نفسه في البدوات ومن أن يعرفه التكذيب بعد الإعزام
لطول وحب الحياة لأنه إذا علم أنه قد ضرب برذونه إلى هذه الغاية حتى لا
ينثني ولا يجيبه إلى التصرف معه الأمان يضيع شيئاً بين التصغير فيه عطبه

لم يقدم على الشدة إلا بعد إحكام الأمر والنظر إلى العورة وإنما يبدأ أن يشبه نفسه
بالمخرج الذي إذا أبى القتال لم يدع جهدا ولم يبق حيلة ولينفي عن قلبه خواطر
الفرار ودواعي الرجوع وقال الخارجي عند الشدة إنما يعتمد على الطعان والأتراك
تطعن طعن الخوارج وإن شد منهم ألف فارس فرموا رشقا واحدا صرعوا ألف فارس فما
يتعاجس على هذا النوع من الشدة والخوارج والأعراب ليست لهم رماية تذكر كون
على ظهور الخيل والتركي يرمي الوحش والطير والبرجاس والناس والمجثمة والمثل الموضوعة
ويرمي وقد ملأ فروج دابته مدبرا ومقبلا ويمنة ويسرة وصعدا وسفلا ويرمي
عشرة أسهم قبل أن يفوق الخارجي سهما واحدا ويركض دابته منحدرا من جبل أو مستفلا
إلى بطن واد بأكثر مما يمكن الخارجي على بسط الأرض وللتركي أربعة أعين عينان في
وجهه وعينان في قفاه وللخارجي عيب في تدبير الحرب وللخراساني عيب في مستقبل
الحرب فعيب الخراسانية أن لها جولة في أول اللقاء وإن ركبوا كانت هزيمتهم وكثيرا ما
يثوبون وذلك أخطار بالعسكر وإطماع للعدو في الشدة والخوارج إذا ولوا فقد
ولوا وليس لهم بعد الفر كر إلا ما لا يعد والتركي ليس له جولة الخراساني وإذا
أدبر فهو السم الناقع والحتف القاضي لأنه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب
به وهو مقبل ولا يؤمن وهقه ولا اختطاف الفرس واختطاف الفارس بتلك
الركضة ولم يقتل من الوهق في جميع الدهر إلا المهلب بن أبي صفرة والحريش
بن هلال وعباد بن الحصين وربما رمى بالوهق وله فيه تدبير إلا وإن لم يجب المرمي

المرمي معه يوهم الجاهل أن ذلك إنما كان لحذق التركي أو لحذق المرمي قال
وهم علموا الفرسان حمل قوسين وثلاث قسي ومن الأوتار على حسب ذلك قال والتركي
في حال شدته معه كل شيء يحتاج إليه لنفسه وسلاحه ودابته وأداة دابته فأما
الصبر على الجنب وعلى مواصلة السير وعلى طول السرى وقطع البلاد فعجب جدا فأولهن
أن فرس الخارجي لا يصبر دون التركي والخارجي لا يحسن أن يعالج فرسه معالجة
الفرسان لخيولهم والتركي أحذق من البيطار وأجود تقويما لبرذونه على ما يريد من
الرائض وهو رباه فلوا وتبعه إن سماه وإن ركض ركض خلفه وقد عوده
ذلك حتى عرفه كما يعرف الفرس اقدم والناقة حل والجمل جاه والبغل عدس والحمار
سأسأ وكما يعرف المجنون لقبه والصبي اسمه ولو حصلت عمر التركي وحسبت أيامه
لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الأرض والتركي يركب فحلا أو رمكة
ويخرج غازيا أو مسافرا أو متباعدا في طلب صيد أو سبب من الأسباب فتتبعه الرمكة
وأفلاؤها وإن أعياه اصطياد الناس اصطاد الوحش وإن أخفق منها أو احتاج إلى
طعام فصد دابة من دوابه وإن عطش حلب رمكة من رماكه وإن أراح واحدة نحته
ركب أخرى من غير أن ينزل إلى الأرض وليس في الأرض أحد إلا وبدنه ينتقض على أكل اللحم وحده
غيره وكذلك دابته تكتفي بالبقل والعشب والشجر لا يظلها من شمس ولا يكنها من برد ماله
وأما الصبر على الخبب فإن الثغريين والغزاة والخصيان والخوارج لو اجتمعت قوائم في شخص
واحد لم توفوا بتركي واحد والتركي لا يبقى معه على طول الغاية إلا طول الصميم من دوابه

الذي يقتله التركي باتعابه له وبعنفه عند غراته هو الذي لا يبقى معه فرس الخارجي ولا
يبقى معه كل برذون بخاري ولا سابري خارجيا لا يستفرغ حضره وسعيه قبل ان يقلع الخارجي
عفوه والتركي هو الراعي وهو السايس وهو الرايض وهو النخاس وهو البيطار
وهو الفارس والتركي الواحد امة على حدة قال واذا سار التركي في غير عساكر الترك
فسار القوم عشرة اميال سار عشرين ميلا لانه ينقطع عن العسكر يمنة ويسرة ويصعد
في ذرى الجبال ويستبطن قعور الاودية في طلب الصيد وهو في ذلك يرمي ما دب ودرج
وطار ووقع قال والتركي لم يسر في العساكر سير الناس قط ولا سار مستقيما قط
قالوا واذا طالت الدلجة واشتد السير وبعد المنزل وانتصف النهار واشتد التعب وشمل
الناس الكلال وصمت المسايرون فلم ينطقوا وقطعهم ما هم فيه من الشاغل عن التحدث
وتفسخ كل شيء من شدة الحر وجمد كل شيء من شدة البرد وتمنى كل جليد القوي على طول
السرى ان تطوى له الارض وكلما راى خيالا او ابصر عطاشره واستبشر وظن انه قد
بلغ المنزل فاذا بلغه الفارس نزل وهو منفتح كانه صبي محقوق من اثر المرض ويتريح
الى التثاؤب ويتداوى تمايلا بالتمطي والتفسح وترى التركي في تلك الحال وقد سار
ضعف ما ساروا وقد اتعب منكبيه كثرة النزع تروى قرب المنزل عيرا او ظبيا او عرض
له ثعلب او ارنب فركض ركض مبتدئ مستانف كان الذي سار ذلك السير وتعب
ذلك التعب غيره وان بلغ الناس واديا فازدحموا على ملكه او قنطرة بطن برذونه فاقحمه
ثم طلع من الجانب الآخر كانه كوكب وان انتهوا الى عقبة صعبة ترك الاثر وذهب

في الجبل صعدا ثم تدلى من موضع تعجز عنه الوعول وانت تحسبه مخاطرا ايقنا للذي
ترى من مطلعه ولو كان في كل ذلك مخاطرا لما دامت له السلامة مع تتابع ذلك
منه ○ قال ونعت الخارجي بانه اذا طلب ادرك واذا طلب لم يدرك والتركي ليس
يحتاج الى ان يفوت لانه لا يطلب ولا يرام ومن يروم فهذا على انا قد علمنا ان العلة التي
عمت الخوارج بالنجدة استواؤها لانهم في الديانة واعتقادهم ان القتال دين لانا
حين وجدنا السجستاني والخراساني والجزري واليمامي والمغربي والعماني والا زرقي
منهم والنجدي والاباضي والصفري والموالي والعرب والعجم والاعراب والعبيد والنساء
والحايك والفلاح كلهم يقاتل مع اختلاف الانساب وتباين البلدان علمنا ان الديانة
هي التي سوت بينهم ووفقت بينهم في ذلك كما ان كل حجام في الارض من اي جنس كان ومن اي
بلد كان فهو يحب النبيذ وكما ان اصحاب الخلقان والسماكين والنخاسين والحاكة في كل بلد
ومن كل جنس شرار خلق الله في المبايعة والمعاملة فعلمنا بذلك ان ذلك خلقه في
هذه الصناعات وبنية في هذه التجارات حين صاروا من بين جميع الناس كذلك قال
ورأينا التركي في بلاده ليس يقاتل على دين ولا على تاويل ولا على ملك ولا على خراج ولا
على عصبية ولا على غيرة دون الحرمة والمحرم ولا على حمية ولا على عداوة ولا على وطن
ومنع دار ولا مال وانما يقاتل على السلب والخيار في يده وليس كالخارجي الوعيد ان هرب ولا
يرجوا الوعد ان ابلى عندا وكذلك هم في بلادهم وغاراتهم وحروبهم وهو الطالب
غير المطلوب ومن كان كذلك فانما ياخذ العفو من قوته ولا يحتاج الى مجهوده ثم هو

مع ذلك لا يقوم له شيء ولا يطمع فيه أحد فما ظنك بمن هذه صفته أن لو اضطر
الى الحرب أو غزا أو غضب أو تدين أو عرض له بعض ما يصحح المهابل المحابي من العلل والأسباب
قال وقناة الخارجي طويلة صماء وقناة التركي مطرد جوف والقنا المجوفة القصار
أشد طعنة وأخف في المحمل والعجم تجعل القنا الطوال للرجالة ومن في الأبناء
على أبواب الخنادق والمضايق والأبناء في هذا الباب لا يجرون مع الأتراك والخراسانية
لأن الغالب على الأبناء المطاعنة على أبواب الخنادق وفي المضايق وهؤلاء أصحاب
الخيل والفرسان وعلى الخيل والفرسان تدور الجيوش لهم الكر والفر والفارس هو
الذي يطوي الجيش طي السجل ويفرقهم تفريق الشعر وليس يكون الكمين الا منهم ولا
الطليعة ولا الساقة ومنهم أصحاب الأيام المذكورة والحروب الكبار والفتوح العظام
ولا تكون المقانب والكتائب الا منهم ومنهم من يحمل البنود والرايات والطبول
والتجافيف والأجراس ومنهم أصحاب الصهيل والقتام وزجر الخيل وقعقعة اللجم في
ثياب السلاح ووقع الحوافر والإدراك اذا طلبوا والفوت اذا طلبوا ولم
يجعل النبي صلى الله عليه وسلم للفارس سهمين وللراجل من المقاتلة سهما واحدا
الا لتضاعيف الرد في القتل والفتوح والهيبة والمغانم قال ولعمري ان الأبناء
من القتال في السكك والسجون والمضايق ما ليس لغيرهم ولكن الرجالة
أبدا أتباع ومأمورون ومنقادون وقائد الرجالة لا يكون فارسا وقائد الفرسان
من الممتنع أن يكون راجلا ومن تعود الطعان والضرب والرمي راكبا ان اضطر

الى الطعن والضرب والرمي راجلا كان على ذلك أدفع عن نفسه وأرد عن
أصحابه من الراجل اذا احتاج أن يستعمل سلاحه فارسا وعلى أنهم ما أكثر
ما يترجلون ويتقاتلون وقد قال الشاعر

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

وقال الضبي

وعلام أركبه اذا لم أنزل ٥ وقال آخر

فمعانق ومنازل ٥

وقال حميد وليس في الأرض قوم الا والتنازع في الحروب والا
في الرياسة ضاربة فيهم الا الأتراك لا يتنازعون ولا يتشاركون وذلك أن
الذي يكره من التنازع والمشاركة اختلاف الرأي والتنافس في الشرف والتحا
من الاشتراك والتداول فيها بين المشتركين والأتراك اذا صافوا جيشا فان
كان في القوم موضع عورة فكلهم قد أبصرها وعرفها وان لم يكن هناك
عورة ولم يكن فيهم مطمع وكان الرأي الانصراف فكلهم قد رأى ذلك الرأي
وعرف الصواب فيه وخواطرهم واحدة ودواعيهم مستوية إذ ليس فيهم معاون ليس
منهم أصحاب نبات وبلاد ولا أصحاب تفاخر وتكاثر وانما شأنهم احكام أمرهم ٥
فالاختلاف يقل بينهم وكانت الفرس تعيب العرب اذا خرجوا الى الحرب مناشدين
وكانت تقول الاشتراك في الحرب والزوجة وفي الامرة سواء قال حميد

فما ظنك بقوم اذا تساندوا لم يقم لهم المتساند فكيف يكونون اذا تحاسدوا
فلما انتهى ذلك الى المامون قال لست بالترك حاجة الى حكم حاكم بعد حميد فان حميدا
قد مارس العرب والعجم وحميد خراساني وحميد عربي فليس للتهمة عليه طريق قالوا واي الحكم
الى اليمنيين طاهر بن الحسين فقال ما احسن ما قال حميد اما انه لم يقصر ولم يفرط فهذا
قول الخليفة المامون وحكم حميد ونصوص طاهر والعربي رجل من اهل خراسان او من بني سدوس
قال سمعنا ابا البطحاء يقول ويلكم كيف اصنع بفارس يملا فروج دابته منحدرا من جبل او
مصعدا في مقطع عقبة ويمكنه على ظهر الفرس ما لا يمكن الرقاص الا بان على ظهر الارض
قال وقال سعيد بن عقبة بن سلم الهنائي وكان نظارا في الحرب وابن ذي راي فيها
فرق ما بيننا وبين الترك ان الترك لم يقفوا قط ولا صافوا جيشا ولا يهجمون على
عدو وكانوا عربا او عجما فاحرجوا اليهم اعداءهم ولقوهم بمثلهم وليس غايتهم الا
ان يتقادوا الى ان يكفوا عنهم باسهم ومعرتهم ويصرفوا عنهم كيدهم فان هم امتنعوا
من الصلح ولزموا على الحرب فليس شانهم والذي يدور عليه امرهم الا منع انفسهم
وتحصين عسكرهم والاحتراس منهم فاما ان يرموا بهم او يسموا انفسهم الى الاحتيال
عليهم والتماس غرتهم فان هذا شيء لا يخطر على بال من يحاربهم قال وقد عرفتم
حيلتهم في دخول الترك من جهة حيطانها المصمتة وحيلتهم في عبور نهر بلخ وسعيد
هذا هو الذي قال اذا جاءتهم وكثر بليته فاجعلوا واحدا مددا واكثر كمينا
وله كلام في الحرب غير هذا كثير قال سعيد واخبرني ابي قال شهدت ابا الخطاب بن يزيد

بن قتادة بن دعامة الفقيه وذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الترك حيث
قال عدو شديد طلبه قليل سلبه فقال رجل من الغالية نهى عمر ابا زبيد الطائي
عن وصف الاسد لان ذلك مما يزيد في رعب الجبان وفي هول الجنان ويفل من غرب
الشجاع وقد وصف الترك باشد من وصف ابي زبيد الاسد وقال سعيد بن عقبة ابنه
يومئذ وقد قطعت شرذمة منهم بلادا اي خرجوا من الثغور بن حمزة بن ادرك الخارجي وما
والى خراسان بعض الامر وحمزة في معظم الناس فقال لاصحابه افرجوا لهم ما تركوكم
ولا تعرضوا لهم فانه قد قيل اتركوهم ما تركوكم فهذا قول سعيد بن عقبة ورايه
وصنيعه وهو عربي خراساني وذكر يزيد بن مزيد الوقعة التي قتل فيها نولبار
الوليد بن طريف الخارجي فقال في بعض ما يصف من شان الترك ليس لبن التركي
على ظهر الدابة ثقل ولا لمشيته على الارض وقع وانه ليرى وهو مدبر ما لا يرى الفارس
منا وهو مقبل وهو يرى الفارس منا صيدا ويعد نفسه فهدا ويعده ظبيا ويعد نفسه
كلبا والله لو رمى نجم بن نعيم بن مكنوف لما اخطاه الحيلة ولولا ان اعمارنا منهم
تقصر دون الجبل يعني جبل حلوان ثم هموا بنا لا لقوا لنا شغلا طويلا ٥

وانشد رجل من اصحابه

هبلتنا بنات البيل عفوا ليس مصداك الى نوال

قال اما التركي فلان ينال الكفاف غصبا احب اليه من ان ينال الملك عفوا ولم
يتهنن بطعام قط الا ان يكون صيدا او مغنما ولا ينام على ظهر دابته طالبا كان

أو مطلوبا ن وقال ثمامة بن أشرس وكان مثل محمد بن الجهم في كثرة ذكره للترك
قال ثمامة التركي لا يخاف إلا مخوفا ولا يطمع في غير مطمع ولا يكفه عن الطلب إلا
اليأس صرفا ولا يدع القليل حتى يصيب أكثر منه وإن جمعهما لم يفرط في واحد منهما
والباب الذي لا يحسنه لا يحس منه شيئا والباب الذي يحسنه قد أحكمه بأسره
وأمره عنده جد وحقيقة كلها ولا يشاغل بشيء ليس فيه شيء ولا على نفسه من شيء فلولا
أنه نفسه بالنوم لنام على أن نومه مشوب باليقظة ويقظته سليمة من الوسنة
ولو كان في شعوبهم أنبياء ونبي أوضح حكماء وكانت هذه الخواطر قد مرت على قلوبهم وقرعت
أسماعهم لأنسوك أدب البصريين وحكمة اليونانيين وصنعة أهل الصين ن
وقال ثمامة عرض لنا في طريق خراسان تركي ومعنا قائد يصول بنفسه ورجاله
ويتناوش التركي وأدنى ساله أن يبارزه فارس من القوم فأخرج له رجلا لم أر
قط أجمل منه ولا أحسن تماما وقواما منه فلما كان حتى غاب عنهم الفارس فتجاولا
ساعة ولا نظن إلا أن صاحبنا يغفل بأضعافه وهو في ذلك يتباعد عنا فبينا هما
في ذلك إذ ولى عنه التركي كالهارب منه وفعل ذلك في موضع ظننا أن صاحبنا
قد ظهر عليه واتبعه الفارس لا يشك إلا أنه سيأتينا برأسه أو يأتينا به مجنوبا
إلى فرسه فلم نشعر إلا وصاحبنا قد أقلب عن فرسه وغاب عنه فنزل التركي إليه
وأخذ سلبه وقتله ثم عارض فرسه فجنبه إليه معه قال ثمامة ثم رأيت بعد ذلك
التركي مذ حين أسيرا في دار الفضل بن سهل فقلت له كيف صنعت يومئذ وكيف طاوله

ثم علا كذا ثم ولى عنه هاربا ثم قتله قال أما إني لو شئت أن أقتله حين عبر
وقد كان مقبلا بإزائي ولكني احتلت عليه حتى نحيته عن أصحابه لأجوز
فلا يحال بيني وبين فرسه وسلبه قال ثمامة وإذا هو يدبر الفارس من سائر الناس
ويريغه كيف شاء وأحب قال ثمامة وقد عرفت في أيديهم أسيرا فما رأيت كالدرا بهم
وتحنهم وألطافهم فهذا ثمامة بن أشرس وهو عدي لهم في الأخبار عنهم وأنا أخبر
أني قد رأيت منهم شيئا عجيبا وأمرا غريبا رأيت في بعض غزوات المأمون سماطي خيل
على جنبتي الطريق بقرب المنزل مائة فارس من الأتراك في الجانب الأيمن ومائة من
سائر الناس في الجانب الأيسر وإذا هم قد اصطفوا ينتظرون مجيء المأمون وقد
انتصف النهار واشتد الحر فورد عليهم وجميع الأتراك جلوس على ظهور خيلهم
إلا ثلاثة أو أربعة وجميع تلك الأخلاط من الجند قد رموا بنفوسهم إلى الأرض إلا ثلاثة
أو أربعة فقلت لصاحب لي انظر أي شيء اتفق لنا أشهد أن المعتصم كان أعرف بهم حين
جمعهم واصطنعهم وأردت مرة القاطول وهي المباركة وأنا خارج من بغداد
وأرى فوارس من أهل خراسان والأبناء وغيرهم من أصناف الجند قد عارضهم
فهد وهم على خيل عتاق يتبعونه فلا يقدرون على أخذه ومر تركي ولم يكن من
ذوي هيئاتهم وذوي القدر منهم وهو على برذون له خسيس وهم على الخيول المطهمة
فاعترض الفهد اعتراضا وقتله قتلا وحباه من زحم شيء فوقف أولئك الجند
وصاروا نظارة فقال بعضهم ممن كان يزري على ذلك التركي هذا أو أتيك الكلف

والبعض ان فرسا فذ لجمهم وبهم اسدل البلاد وجاهدا مع نقص قامته وضعف
دابته فقطع ان ياخذه فما انقضى كلامه حتى اقبل به ثم سلمه اليهم ومضى لطلبته
لم ينتظر ثناءهم ولا دعاءهم ولا اراهم انه قد صنع شيئا او اتى اليهم معروفا والترك
قوم لا يعرفون الملق ولا الخلابة ولا النفاق ولا السعاية ولا التصنع
ولا النميمة ولا الرياء ولا البذخ على الاولياء ولا البغي على الخلطاء ولا يعرفون
البدع ولم تفسدهم الاهواء ولا يستحلون الاموال على التاول وانما كان عيبهم
والذي يوحش منهم الحنين الى الاوطان وحب التقلب في البلدان والصبابة بالغارات
والشغف بالنهب وشدة الالف للعادة مع ما كانوا يتذاكرون من سرور الظفر
وتتابعه وحلاوة المغنم وكثرته وملاعبهم في تلك الصحارى وترددهم في تلك المروج
وان لا يذهب بطول الفراغ فضل نجدتهم باطلا ويبصر حدتهم على طول الايام كلالا ومن
حذق شيئا لم يصبر عنه ومن كره امرا افرط منه وانما خصوا بالحنين من بين جميع العجم لان
ما في تركهم واخلاط طبائعهم من تركيب بلدانهم وتربتهم ومنشا كله مياههم ومنابتهم
اخوانهم ما لبس مع احد سواهم الا ترى انك ترى البصري فلا تدري ابصري هو او
كوفي وترى المكي فلا تدري امكي هو ام مدني وترى الجبلي فلا تدري اجبلي هو ام خراساني
وترى الجزري فلا تدري اجزري هو ام شامي وانت لا تغلط في التركي ولا تحتاج فيه
الى قيافة ولا الى فراسة ولا الى مسايلة ونساؤهم كرجالهم ودوابهم من سلمهم وكذا
طبع الله تلك البلدة وقسم لتلك التربة وجميع دور الدنيا ونشوها الى منتهى قواها

ومدة اجلها جارية على عللها وعلى مقدار اسبابها وعلى قدر ما خصها الله
تعالى به واباها وجعل منها فاذا صاروا الى دار الجزاء فهي كما قال الله تعالى
انا انشاناهن انشاء   وكذلك ترى ابناء العرب والاعراب الذين نزلوا خراسان
لا تفصل بين من نزل الانبار بفرغانة وبين اهل فرغانة ولا ترى بينهم فرقا في النسائل
الصهب والجلود الغبر والاقفاء الغليظة والالسنة الفرغانية وكذلك جميع تلك الارباع
لا تفصل بين ابناء النازلة وبين ابناء النائمة ومحبة الوطن شيء شامل لجميع الناس
كله وغالب على جميع الخيرة ولكن ذاك من الترك اغلب وفيها ارسخ لما معها من خاصة المشا
والمناسبة واستوا السنة وكما في الترك الا ترى ان العبدي يقول عمر الله
البلدان بحب الاوطان وان ابن الزبير قال ليس الناس بشيء من اقسامهم اقنع منهم
باوطانهم وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لولا تفرق اهوا العباد لما عمر الله البلاد
وان جمعة الايادية قالت لولا ما اوصى الله به العباد من فقر البلاد لما وسعهم
واد ولا ذهابهم زاد   وذكر قتيبة بن مسلم الترك فقال هم والله احن الابل
المعقلة الى اوطانها لان البعير يحن الى وطنه وعطنه وهو بعان من ظهر البعر
فهي تحن كل شيء وتستنبط كل واد حتى يانس مكانه على طريق لم يسلكه الا مرة
واحدة فلا زال البشم والاستراح وحسن الادلال الطبيعة المخصوص بها حتى بات
مركه على بعض ما بين عمان والبصرة فلذلك ضربت فيه المثل والشيخ على الوطن
ها والصبابة مذكورة في القرآن محطوطة في جميع الناس غاز الترك للعلل التي ذكرنا

اشد حنينا واشد نزاعا وبات احزم مما كان يدعوهم الى الرجوع قبل العزم
الثاني والمادة المنقوصة وذلك ان الترك قوم يشتد عليهم الحصر وطول اللبث والمكث
وقلة التصرف والتحرك واصل بنيتهم انما وضعت على الحركة وليس للسكون فيهم نصيب
وفي قوى انفسهم فضل على قوى ابدانهم وهم اصحاب توقد وحرارة واشتعال وفطنة كثيرة
خواطرهم سريعة لحظهم كانوا يرون الاقامة مسخة وطول المقام بلادة والراحة عقلة
والقناعة من قصر الهمة وان ترك الغزو يورث الذلة وقالت العرب في مثل ذلك قال عبد
الله بن وهب الراسبي حب الدنيا يلبس النصب والعرب تقول من غلا دماغه في الصيف
غلت قدره في الشتا وقال اكثم بن صيفي ما احب اني مكفي كل امر الدنيا قيل ولم قال
اخاف العجز فهذه كانت علل الترك في حب الرجوع والحنين الى الوطن ومن اعظم ما كان
يدعوهم الى النزوع ويبعثهم على الرجوع ويكره عندهم المقام ما كانوا يتوقعونه من جهل قوادهم
باقدارهم وقلة معرفتهم باخطارهم واغفالهم موضع الرد عليهم والانتفاع بهم حين جعلوهم
اسوة اجنادهم ولم يرفعوا ان يلحقوا الحاشية والحشو وعمار العامة ومن عرض العساكر
وانفوا من ذلك لانفسهم وذكروا ما يجب لهم وراوا ان الضيم لا يليق بهم وان الخمول لا
يجوز عليهم وانهم في المقام على من لا يعرف حقهم اليوم ممن منعهم حقهم فلما صادفوا الملك حليما
وباقدار الناس عليما لا يميل الى عادة ولا يجنح الى هوى ولا يتعصب لبلد على بلد ويروع
الله حسب ما دار ويقيم مع الحق حيثما اقام اقاموا اقامة من قد فهم الحق ودان بالحق وبد
العادة واثر الحقيقة ورحل نفسه بفطنته وطنه وابن ملك الامانة على ملك الاما

على ملك الحجة ولحسنا الصواب على الالف ولعظم بعد هذا كله ان كل امة
وقرن وكل جيل وبني اب وجدتهم قد برعوا في الصناعات وفضلوا الناس في البيان
او فاقوهم في الاداب وفي تاسيس الملك وفي البصر بالحرب فانك لا تجدهم في الغاية
وفي اقصى النهاية الا ان يكون الله قد سخرهم لذلك المعنى بالاسباب وقصرهم بالعلل
التي تقابل تلك الامور وتصلح لتلك المعاني لان من كان مقسم الهوى مشترك
الراي ومتشعب النفس غير موفر على ذلك الشي ولا مهيا له لم يحذق من تلك
الاشيا بامر ولم يبلغ فيه غاية كاهل الصين في الصناعات واليونانيين في
الحكم والاداب والعرب فيما نحن ذاكروه في موضعه وال ساسان في الملك
والاتراك في الحروب الا ترى ان اليونانيين الذين نظروا في العلل لم يكونوا
تجارا ولا صناعا بأكفهم ولا زراعا ولا فلاحين ولا بنائين ولا غراسين ولا اصحاب جمع ومنع وكد
وكانت الملوك تفرغهم وتجري عليهم كفايتهم فنظروا حين نظروا بانفس مجتمعة وقوة
وافرة واذهان فارغة حتى استخرجوا الالات والادوات والملاهي التي تكون
جماما للنفس وراحة بعد الكد وسرورا يداوي قرح الهموم فصنعوا
من المرافق وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات والاسطرلابات
والة الساعات وكالبركار وكالمسطرة وكاصناف المزامير والمعازف
وكالطب والحساب والهندسة واللحون والات الحرب كالمجانيق والعرادات
والزيارات والدبابات والة النفاط وغير ذلك مما يطول ذكره وكانوا اصحاب

العلل

حكمة ولم يكونوا فعلة يصورون الآلة ويخرطون الأداة ويصوغون المثال ولا
يحسنون العمل به ويشيرون إليها ولا يمسونها يرغبون في العلم ويرغبون
في العمل فأما سكان الصين فهم أصحاب السبك والصياغة والإفراغ
والإذابة والأصباغ العجيبة وأصحاب الخرط والنحت والتصاوير والنسج والخط وتفاوت
ورفق الأكف في كل شيء يتولونه ويعانونه وإن اختلف جوهره وتباينت صنعته و
ثمنه واليونانيون يعرفون العلل لأن أولئك حكماء وهم فعلة وكذلك العرب لم
يكونوا تجارا ولا صناعا ولا أطباء ولا حسابا ولا أصحاب فلاحة فيكونون
مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم من صغار الجزية ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب
ولا أصحاب احتكار لما في أيديهم من طلب ما عند غيرهم ولا طلبوا المعاش من ألسنة
الموازين ورؤوس المكاييل ولم يستغنوا الغنى الذي يورث البلدة والثروة التي
تحدث الغرة ولم يحتملوا ذلا قط فيميت قلوبهم ويصغر عندهم أنفسهم وكانوا
سكان فياف وتربية العراء لا يعرفون الغمق ولا اللثق ولا البخار ولا الغلظ
ولا العفن ولا التخم أذهان حداد ونفوس منكرة حين حملوا حدهم ووجهوا
قواهم لقول الشعر وبلاغة المنطق وتشقيق اللغة وتصاريف الكلام بعد
قيافة الأثر وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم والاستدلال بالآفاق وتعرف
الأنواء والبصر بالخيل والسلاح وآلة الحرب والحفظ لكل مسموع والاعتبار
بكل محسوس وإحكام شأن المثالب والمناقب وبلغوا في ذلك الغاية وحازوا

كل أمنية وببعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر وهممهم
أرفع من جميع الأمم وأفخر ولأيامهم أحفظ وأذكر وكذلك الترك أصحاب
عمد وسكان فياف وأرباب مواشي وهم أعراب العجم كما أن هذيلا أكراد
العرب فحين لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة
ولا غرس ولا بنيان ولا شق أنهار ولا جباية غلات ولم يكن همهم غير الغزو
والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الأبطال وطلب الغنائم وتدويخ
البلدان وكانت هممهم إلى ذلك مصروفة وكانوا لهذه المعاني والأسباب
مسخرة ومقصورة عليها وموصولة بها صار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم
وفخرهم وحديثهم وسمرهم فلما كانوا كذلك صاروا في الحرب كاليونانيين في
الحكمة وأهل الصين في الصناعات والأعراب فيما عددنا ونزلنا وكآل
ساسان في الملك والرياسة ومما يستدل به على أنهم قد استقصوا
هذا الباب واستغرقوه وبلغوا أقصى غايته وتعرفون أن السيف إلى أن
يتقلده متقلد أو يضرب به ضارب يقدر على أيدي كثيرة وعلى طبقات من الصناع
كل واحد منهم لا يعمل عمل صاحبه ولا يحسنه ولا يدعيه ولا يكلفه
لأن الذي يستخرج حديد السيف ويميعه ويصفيه ويهذبه غير الذي يمده ويمدده
والذي يمده ويملطه غير الذي يطبعه ويسوي متنه ويفهم جنسه والذي
يطبعه ويسوي متنه غير الذي يسقيه ويرهفه والذي يرهفه غير الذي

يركب فيتبعه ويستوثق من سلامته والذي يعمل مسامير السلاح
والقبيعة ونصل السيف غير الذي ينحت خشب غمده والذي ينحت خشب غمده
غير الذي يدبغ جلده والذي يدبغ جلده غير الذي يحليه والذي يحليه غير الذي
يخرز حمائله وكذلك السرج وحلاب السهم والجعبة والرمح وجميع السلاح
مما هو خارج أو منه والتركي يعمل هذا كله لنفسه من ابتدائه إلى غايته
فلا يستعين برفيق ولا يفزع فيه إلى صديق ولا يختلف إلى صانع ولا يشتغل
قلبه بمطالبته وتسويفه وأذاة مواعيده وبغرم كرائه وحين بلغ أوس
بن حجر صفة القانص وبلغ له الغاية في جمعه لأدوات الكفاية بنفسه ٥
قال ٥ فضى مس الليل للصيد مطعم ولا سهمه غار ربار وواصف
وليس أنه ليس في الأرض تركي إلا وهو كما وصفنا كما أنه ليس كل يوناني
حكيم ولا كل صيني في غاية من الحذق ولا كل أعرابي شاعر قائف ولكن هذه
الأمور في هؤلاء أعم وأتم وفيهم أظهر وأكثر فقد قلنا في السنة التي لها
تكاملت النجدة والفروسية في الترك دون جميع الأمم وفي العلل التي من أجلها
استطعموا جميع معاني الحرب وهي معاني تشتمل على مذاهب غريبة وخصائل عجيبة
فمنها ما يقضي لأهله بالكرم وببعد الهمة وطلب الغاية ومنها ما يدل على
الأدب الشديد والرأي الأصيل والفطنة الثاقبة والبصر النافذ وقلة
الغفلة وكثرة التجربة ولا بد من البصر بالخيل والسلاح والخبرة بالرجال ٥

وبالبلاد والعلم بالمكان والزمان والمكائد وبما فيه صلاح هذه الأمور
كلها والملك يحتاج إلى أنواع شتى ذو أسباب شتان ومن أتمها سبباً وأعمها نفعاً
ما ثبته في نصابه وأقره وسكنه في قراره وزاد في تمكنه وبهائه وقطع أسباب
المطمعة فيه ومنع أيدي البغاة من الإشارة إليه فضلاً عن البسط عليه ٥
قال ثم إن الترك عظمت على العرب بالمجاهدة والمنافسة وقالوا قلتم إن لمن
القرابة مما يستحق بالكفاية فنحن أقدم بالطاعة والود والمناصحة وإن كان
يستحق بالقرابة فنحن أقرب قرابة قالوا والعرب تجد هذا أصنافاً عدنان و
فأما القحطاني فينسبنا إلى الخلفاء أقرب من نسبتهم ونحن أمس بهم رحماً لأن
الخليفة من ولد إسماعيل بن إبراهيم دون قحطان وعابر وولد إبراهيم عليه السلام
إسماعيل وأمه هاجر وهي قبطية وإسحق وأمه سارة وهي سريانية والستة
الباقون أمهم قنطورا بنت مقطور عربية من العرب العاربة وفي قول القحطانية أن
أمنا أشرف في الحسب إذ كانت عربية وأربعة من الستة هم الذين وقعوا بخراسان
فأولدوا الترك بخراسان فهذا قولنا للقحطاني وأما قولنا للعدناني فإبراهيم
أبونا وإسماعيل عمنا وقرابتنا من إسماعيل كقرابتكم   قال الهيثم بن عدي قيل
لمبارك التركي وعنده حماد التركي أنتم من مذحج فابتسل بسلاً كبيراً ولذلك ولد
قال شاعر الشعوبية للعرب في قصيدة طويلة ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥
زعمتم بأن الترك أبناء مذحج وبينكم قربى وبين البرابر ٥

قحطان

وذلكم نبل ابن ضبة باسل وصوفان اسال كبر الجرابن ٥

وقال اخر

متى كانت الاتراك ابنا مذحج الان في الدنيا عجبا لمن عجب
وقد سمعتم ما جاء في سيد بني قنطورا وشان حيولهم بنجل السواد وانما كان ٥
الجيش على وجه التهويل والتخويف لهم لجميع الناس فصاروا للاسلام مادة جندا ٥
كثيفا وللخلفاء وقاية وموئلا وجنة حصينة وشعارا دون الدثار وفي الماثور ٥
من الخبر اتركوا الترك ما تركوكم وهذه وصية لجميع العرب فان الراى متاركتنا ومسالمتنا
وما ظنكم بقوم لم يعرض لهم ذوا لقرنين ويقوله انزلوهم سموا الترك هذا بعد ان
غلب على جميع الارض غلبة وتسرا وعنوة وقهرا   وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
هذا عدو شديد كلبه قليل سلبه فهي كما ترى عن التعريض لهم باجنس كنايه ٥
والعرب اذا ضربت المثل في العداوة الشديدة قالوا انما هم الا الترك والديلم ٥

قال عميلة بن عقيل بن علفة ٥

تبدلت منه بعدما شاب مفرقي عداوة تركي وبغض ابي حسل ٥
وابو حسل هو الضب والعرب يقول هو اعق من ضب لانه ياكل اولاده ولم يرغب
فلو ان احادا العرب مثل الترك ٥   وقال خلف الاحمر ٥

كاني حين ازهنهم شيء دفعتهم الى صاد السبال ٥

قال وابايهم غنا اوس بن حجر ٥

يكسبهم ابنا بهم لما رأيتهم صهب السبال بايديهم ما زبن ٥
وحدثني ابراهيم بن السندي مولى امير المومنين وكان عالما بالدولة شديد الحب
لابناء الدعوة وكان يحوط مواليه ويحفظ اباءهم ويدعوا الناس الى طاعتهم ٥
ويدرسهم مناقبهم وكان فخم المعاني فخم الالفاظ لو قلت لسانه كان ارد على هذا
الملك من عشرة الف سيف شهير وسنان طرير لكان ذلك قولا ومذهبا ٥ قال
حدثني عبد الملك بن صالح عن ابيه صالح بن علي ان خاقان ملك الترك واقف مرة
الجنيد بن عبد الرحمن امير خراسان وقد كان الجنيد هاله امره وافزعه شانه
وتعاظمه جموعه وجمعه وبعد بيته وبلغ منه وفطن له خاقان وعرف ما قد
وقع فيه فارسل اليه اني لم اقف هذا الموقف وامسك هذا الامساك وانا
اريد مكروها فلا ترع ولو كنت اريد غلبة او مكروها لقد كنت تشفت عسكرك ٥
استشافا اعجلك فيه عن الروية وقد ابصرت موضع العورة ولولا ان تعرف هذه الحيز
فتعودها على غيري من الاتراك لعرفتك موضع الانتشار والخلل والخطا في عسكرك
وتعبيتك وقد بلغني انك رجل عاقل وان لك شرفا في دينك وفضلا في نفسك وعلما
بدينك وقد احببت ان اسالك عن شيء من احوالكم لا اعرف به مذهبكم فاخرج الي
في خاصتك لا اخرج اليك وحدي واسائلك عما احتاج اليه نفسي ولا تحتفل
ولا تحترس فليس مثلي من غدر وليس مثلي من يؤتى من نفسه ومن قدر وكيده ثم
تنكث بوعده ونحن قوم لا نخدع بالعمل ولا نستحسن الخديعة الا في الحرب ولو استقام

أمر الحرب يعرض بعبه لما جوزنا ذلك لأنفسنا فأبى الجنيد أن يخرج اليه الا وحده
فضلا من الصفوف وقال سل عما أجبت فإن كان عندي جواب رضاه أجبتك ولا
أشرت عليك بمن هو أبصر بذلك مني قال ما حكمكم في الزان قال الجنيد الزان عندنا
رجلان رجل دفعنا اليه امرأة بعينه عن حرم الناس وكفه عن حرم الجيران ورجل
لم نعطه ذلك لم نحل بينه وبين أن يفعل ذلك لنفسه فأما الذي لا زوجة له
فإنا نجلده مائة جلدة ونحضر ذلك الجماعة من الناس ليشهر ونجلده ونعرفه في
البلدان لترتدع في شهرته وفي التحذير منه وليزدجر بذلك كل من كان يهم بمثل
عمله فأما الذي قد أغنيناه فإنا نرجمه بالجندل حتى نقتله قال الحسن جميل وتدبير
كريم فما حكمكم في الذي يقذف عفيفا بالزنا قال نجلده ثمانين جلدة ولا نقبل له شهادة
ولا نصدق له حديثا قال الحسن جميل وتدبير كريم فما حكمكم في السارق قال السارق
عندنا رجلان رجل يحتال لما قد أحرزه الناس من أموالهم حتى يأخذها بنقب حيطانهم
أو بالتسلق من أعالي دورهم فهذا نقطع يده التي سرق بها ونقف بها واعتمد عليها
ورجل آخر يخيف السبيل ويقطع الطريق ويكابر على الأموال ويشهر السلاح
فإن منعه صاحب المتاع قتله فهذا نقتله ونصلبه على المناهج والطرق قال
حسن جميل وتدبير كريم قال فما حكمكم في الغاصب والمستلب قال ذلك فيه الشبهة
ويجوز فيه الغلط والوجوه كالغصب والاستلاب والخيانة والسرقة لما يوكل
أو يستر فإنا لا نقطع فيما فيه شبهة ونتحمل لذلك وجها غير السرقة قال الحسن جميل

وتدبير كريم قال فما حكمكم في القاتل وقاطع الأذن والأنف قال النفس بالنفس
والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص
وإن قتل رجلا عشرة قتلناهم ونقتل القوي البدن بالضعيف البدن وكذلك
اليد والرجل قال الحسن جميل وتدبير كريم قال فما تقولون في الكذاب والنمام
والفراط قال عندنا فيهم الاقصاء لهم وابعادهم واهانتهم ولا نقبل شهادتهم
ولا نصدق أحاديثهم قال وليس الا هذا قال هذا جوابنا على ديننا قال له أما
النمام عندي هو الذي يضرب بين الناس فأرى أجبه في سجن لا يرى فيه أحدا
وأما الفراط فأني أكوي لسانه وأعاقبه لذلك المهانة فيه وأما الكذاب فأني
أقطع الجارحة التي بها يكذب كما قطعتم اليد التي بها يسرق وأما الذي يضحك
الناس ويعودهم السخف فأني أخرجه من سلطاني وأصلح بإخراجه عقول رعيتي
قال فقال الجنيد بن عبد الرحمن أنتم قوم تردون أحكامكم الى جوار العقول والى
ما يحسن في طاعة الرأي ونحن قوم نتبع الأنبياء ونرى أنهم يصلح على تدبير العباد
وذلك أن الله تعالى أعلم بغيب المصالح وشر الأمور وحقائقه ومحصوله وعواقبه
والناس لا يعلمون ولا يرون الحزم الا على ظاهر الأمور وكم من مضيع يسلم وحازم
يعطب قال ما قلت حلالا أما أشرف من هذا ولقد القيت نكرا طويلا قال
أبا هيثم قال عبد الملك قال صالح قال الجنيد فلم أر أوفى ولا أنصف ولا أفهم ولا
أذكى منه ولقد وافقته ثلاث ساعات من النهار ما تحرك منه شيء الا لسانه وما مني

لم احركه وهكذا تصنع ملوك الترك يزعمون ان ساسان او خاقان الا كن توافقا
ببعض الكسور وفضلا من الصين وطالت المناجاة فلما انفتلا قالوا اكان خاقان اركن
وادب وكان مركب كسرى ازكى وادب لم يتحرك من خاقان الا لسانه وكان برذونه
يرفع قايمه ويضع اخرى وكان مركب كسرى كانما صب صبا وكان كسرى يحرك راسه
ويشير بيده قالوا ومن الاعاجيب ان الحرث بن كعب لا تقوم بجرم وجرم لا تقوم لكنده
وكنده لا تقوم للحرث بن كعب قالوا ومثل ذلك من الاعاجيب في الحرب ان العرب لا
تقوم للترك والترك لا تقوم للروم والروم لا تقوم للعرب قال جهم بن صفوان الترمذي
قد عرفنا ما كان بين فارس والترك من الحرب حتى تزوج كسرى ابرويز خاتون بنت خاقان
تتمثله بتلك الصهر وتدفع باسه عنه وقد عرفنا الحروب التي كانت بين فارس
والروم وكيف تساجلوا الظفر وباي سبب غير النهر بالمداين وسوسا وباي سبب
نسبت الرومية ولم سميت بذلك ولم بنى كسرى على الخليج قبالة قسطنطينية النواويس
وبيوت النار ولكن متى ظهرت الروم على ترك خراسان ظهورا متوالنا ضربوا بها المثل
الى اخر الدهر مثله وهم هناك من الاشباه ومن تخلل هذا النسب وكانت خاتون بنت خاقان
عند ابرويز فولدت له شيرويه وقد ملك شيرويه بعد ابرويز وتزوج شيرويه مريم بنت قيصر
فولدت له فيروز ابا يزيد ام يزيد الناقص والوليد وكان يقول ولدني اربعة املاك
كسرى وخاقان وقيصر ومروان وكان يزيد يفخر في غرفته التي قتل فيها الوليد بن يزيد
انا بن كسرى وابي خاقان وقيصر جدي وجدي مروان ○

فلما صار الى الافتخار في شعره بالنجدة والثقافة بالحرب لم يفخر الا بخاقان فقط
فقال ○ فان كنت تدري مقبلا ثم مدبرا واطلع من طود زلوق على مهري ○
فخاقان جدي كان في ذاك واذكري اخابره في السهل والجبل الوعر ○
قوله واطلع يريد وانزل وهي لغة اهل الشام واخذوها من نازلة العرب في اول
الدهر وجعل دابته مهرا لان ذلك اشد واشق وقال الفضل بن العباس ابن رزين
انانا ذات يوم فرسان من الترك فلم يتواخذ ممن كان خارجها الا دخل حصنه واغلق
بابه واحاطوا بحصن من تلك الحصون وانبرى فارس منهم شيخا بطلع اليهم من فوق فقال
له التركي لئن لم تنزل الي لاقتلنك قتلة ما قتلها احد قال فنزل اليه وفتح له الباب
ودخلوا الحصن واستحوا كل شي فيه فضحك من نزوله اليه وفتحه له وهو في
احصن موضع وامنع مكان ثم اقبل به الى الحصن اياسيه فقال اشروه مني فلنا لا صاحبه
لنا في ذلك قال فاني ابيعه بدرهم واخذ فرمينا اليه بدرهم فخلى سبيله ثم ادبر عنا
ومضى حتى مع اصحابه فما لبث الا قليلا حتى عاد الينا فوقف حيث يسمع كلامه
فراعنا ذلك فاخرج الدرهم من فيه وكسره نصفين وقال لا يسوى درهما وهذا
فاحسن فخذوا هذا وهو على كل حال غال جدا بالنصف الاخر قال واذا هو اطرف
الخلق قال وكنا نعرف ذلك الرجل بالجبن وقد كان سمع باحتيال الترك في
دخول المدن وعبور الانهار في الحروب فتوهم انه لم يسعه عن فتح الباب ○ وقال
ثمامة ما شبهت الدر الا بالترك لان كل درة على حدتها معها من المعرفه بادخار

الطعم ومن الكسم والابزداج ويجتنب المدخر حتى لا يبقى الا في حجره ثم الاحتيال للناس في
الاحتيال لها بالصمامة والصفاص والمودم وتعليق الطعام على الاوتاد والبراد
مثل الذر مع صاحبتها ○ وقال ابو موسى الاشعري كل جنس يحتاج الى الغزو وشر ومدبر
حتى الذر ○ وروى ابو عمر الضرير ان بيت الذر الزايد الذي يخرج اولا لشي فترسمه دون
اصحابه لخصوصيته خصه الله تعالى بها ولطافة الحس فاذا حاول حمله وتعاطى نقله
وعجز ذلك بعد ان بلى عندنا اتاهن فاخبرهن فرجع وخرجت تعدو كانها خيط اسود
ممدود وليست ذرة ابدا يستقبل ذرة اخرى الا واقفتها وسارتها بشي ثم انصرفت عنها
وكذلك الادراك كل واحد منهم غير عاجز عن معرفة مصلحة امره الا ان التفاضل
واجب في جميع اصناف الاشيا والنبات والموات وقد يختلف الحوايج وكله دليل
وتفاضل العقل وكلما جواد ○ وقد قلنا في مناقب جميع الاصناف بجمل ما انتهى
الينا وبلغه علمنا فان وقع ذلك بالموافقة فبتوفيق الله وصنعه وان قصر دون
ذلك فالذي قصر بنا نقصان علمنا وقلة حفظنا وسماعنا فاما جنس النية والذكا
نفسه من المحنة والاجتهاد في المعرفة فانا لا نرجع في ذلك الى انفسنا بلايمة ومن النقص
من جهة التفريط والتضييع فمن النقص من جهة العجز وضعف العزم فرق ولولا
هذا الكتاب من كتب المناقضات وكتب المسايل والجوابات وكان كل صنف من هذه الاصناف
يريد الاستقصا على صاحبه يكون غايته اظهار فضل نفسه وان لم يصل الى ذلك الا
باظهار نقص اخيه ولذلك لكان ذا بابا ترك الورق عظيما ولكان العدد الذين يقصون

لولعه بالعلم والاتساع في المعرفة اكثر واظهر ولكان اتانا ان القليل الذي يجمع خير من
الكثير الذي يفرق ونحن نعوذ بالله من هذا المذهب ونسله العون والتسديد
انه سميع قريب فعال لما يريد ○ ○

تم الكتاب ولله المنة وبه الحول والقوة والله الموفق للصواب ○ ○ ○

وكان الفراغ من نسخه نصف الليل ليلة الجمعة المباركة
الخامس عشر من صفر سنة [illegible]
والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله [illegible] حسبي ونعم الوكيل [illegible]

الحاج الفقيه حسين بن الحاج صالح سكنه قرب [illegible]

محل المغربي حارة الروم